

الميمات الترجمة والإيديولوجية في ترجمات القرآن الكريم إلى الفرنسية: دراسة في ترجمتي كازيميرسكي

وبلاشير

Memes of Translation and Ideology in French Translations of the Quran: A Study of

Kazimirski and Blachère's Translations

* وليد عباشي

Walid ABACHI

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)

Algiers 2 University - Abou El Kacem Saâdallah (Algeria)

walid.abachi@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/03/02

تاريخ القبول: 2026/02/10

تاريخ الإرسال: 2025/09/15

ملخص البحث

يتناول هذا البحث ترجمتي ألبرت كازيميرسكي (1840) وريجيس بلاشير (1947) للقرآن الكريم إلى الفرنسية، بوصفها حلقتين أساسيتين في سلسلة تاريخية متواصلة منذ ترجمة كلوني اللاتينية. ينطلق المقال من إشكالية مركزية: كيف تُظهر هاتان الترجمتان استمرارية «الميمات الترجمة» التي كرستها الترجمات الاستشرافية الأولى، وإلى أي مدى أسهمت في تعقيب الخصوصية البلاغية والرسالية للقرآن لصالح أطر تفسيرية غريبة؟ اعتمدت الدراسة إطارًا نظريًا متكاملًا: نظرية الميمات الترجمة عند تشيستيرمان لتشخيص الأنماط المنتقلة عبر الأجيال؛ ثنائية التدجين/التغريب عند فينوتي لتحديد استراتيجيات القرب أو الإقصاء الثقافي؛ «المبولات التحريفية» عند برمان لتفكيك الانزياحات النصية والدلالية؛ ومفهوم العتبات عند جينيت لتحليل الوظائف الإيديولوجية للنصوص الموازية. أبرزت النتائج أن الترجمتين تمثلان أكثر من مجرد نقل لغوي: فهما إعادة إنتاج معرفي وإيديولوجي للنص القرآني. عند كازيميرسكي، ارتبطت الترجمة بالسياق الكولونيالي وأُختمت في مشروع الهيمنة الثقافية. أما بلاشير، فحُوّل النص إلى وثيقة تاريخية عبر المقارنات الكتابية والإضافات المشوهة. وبذلك، ساهم كلاهما في تثبيت صورة قرآنية «مؤدجة» داخل الثقافة الفرنسية، حيث يغدو المترجم مرئيًا بقدر ما يغيب النص عن فرادته.

الكلمات المفتاحية: ترجمة القرآن، الميمات الترجمة، الإيديولوجية، الاستشراق، التدجين والتغريب، العتبات النصية.

Abstract :

This study examines Albert Kazimirski's (1840) and Régis Blachère's (1947) French translations of the Qur'an as key stages in a historical continuum rooted in the medieval Cluny project. The central question is how these works reproduce inherited

* وليد عباشي: walid.abachi@gmail.com

“translation memes” and to what extent they obscure the Qur’an’s linguistic singularity and universal message within Western interpretive frameworks.

The analysis draws on Chesterman’s concept of translation memes, Venuti’s domestication/foreignization dichotomy, Berman’s deforming tendencies, and Genette’s notion of paratexts. Results show that both translations function as ideological reconfigurations rather than neutral linguistic transfers. Kazimirski’s version reflects colonial objectives, while Blachère’s reframes the Qur’an as a historical document through biblical comparisons and textual insertions. Ultimately, both consolidate an “ideologized” image of the Qur’an in French culture, where translator visibility prevails at the expense of textual otherness.

Keywords: Qur’an Translation, Translation Memes, Ideology , Orientalism, Domestication & Foreignization, Paratexts.



المقدمة:

يتميز القرآن الكريم بخصوصية لغوية وبلاغية فريدة جعلت نقله إلى اللغات الأخرى مهمة معقدة على المستويات كافة: مستوى المبنى اللغوي بما يحمله من إيقاع وإعجاز، ومستوى الدلالة بما يتجاوز حدود الثقافة العربية إلى رسالة كونية موجهة إلى البشرية جمعاء. هذه الخصوصية تجعل الترجمة ليست مجرد ممارسة تقنية، بل سيورة أيديولوجية ومعرفية تعكس تصورات المترجمين وانتماءاتهم الفكرية.

لقد بدأت الترجمات الأوروبية الأولى للقرآن منذ مشروع دير كلوني في القرن الثاني عشر بقيادة بطرس المبجل، وكان هدفها الرئيس التنصير والمواجهة الفكرية مع الإسلام، حيث أنتج نص لاتيني محاط بشبكة من الهوامش والتعليقات تحاول تأويل القرآن داخل الإطار الكتابي المسيحي¹. هذه المقاربة أسست لما يمكن أن نسقيه أنماطاً ترجمية متوارثة، تحولت إلى ما يُعرف في نظرية تشسترمان بـ«الميمات الترجمة»²، أي وحدات معرفية واستراتيجية تتكرر وتنتقل عبر الأجيال، فيختارها المترجمون - بوعي أو من دونه - كلما واجهوا نصاً قرآنياً.

استمر هذا الإرث في ترجمة لودوفيكو مارانشي (1698) التي مثلت نموذجاً في الدقة اللغوية، لكنها بقيت مشبعة بالجدل اللاهوتي. ثم أعاد جورج سايل (1734) صياغة هذه الممارسات بإضافة مقدمة ضخمة تؤطر القرآن كظاهرة تاريخية بشرية، بينما قدم سافاري (1783) نسخة فرنسية متأثرة بعصر الأنوار، حافظت على نفس الطابع التفسيري المرتبط بالمصادر الكتابية السابقة³. وأخيراً، جاءت ترجمة كازيميرسكي (1840) لتدخل هذه الأنماط في السياق الاستعماري الفرنسي، حيث ربط بين العمل الفيلولوجي والمشروع السياسي للإمبراطورية. ثم تبعها في القرن العشرين

بلاشير (1947)، الذي حاول أن يضفي على عمله طابعًا أكاديميًا محايدًا، لكنه استبطن نفس الآليات: الهوامش المقارنة، التفسير عبر التوراة والتلمود، والتأطير الفيلولوجي الذي يعيد القرآن إلى أفق الثقافة الغربية.

انطلاقًا من هذا المسار التاريخي، تتحدد إشكالية البحث في التساؤل التالي:

- كيف تكشف ترجمات كازيميرسكي وبلاشير للقرآن الكريم عن استمرار الميات الترجمة عبر مستويات النص والنص الموازي، وما مدى حضور الإيديولوجيا فيها، وكيف انعكس ذلك على إبراز أو تغييب الخصوصية القرآنية اللغوية ورسالته العالمية؟
وتتفرع عنها الأسئلة الثانوية التالية:

- كيف تجلّت الاستراتيجيات الترجمة على المستوى الجزئي (اختيار المفردات، التراكيب، البنية الأسلوبية)؟
- كيف حضرت الأيديولوجية في الهوامش والتعليقات والمقدمات بوصفها «عتبات» تُظهر ذات المترجم؟
- إلى أي مدى ساهمت هذه الترجمات في تدجين النص القرآني أو تغريبه وفق ثنائية فينوتي؟
- كيف يمكن قراءة هذه الترجمات في ضوء «الميولات التحريفية» لدى برمان التي تُظهر ما يفقده النص الأصلي في أثناء العبور إلى لغة أخرى؟

يندرج هذا البحث ضمن دراسات الترجمة التي تستند إلى مقاربات متعددة ومتكاملة، تجمع بين البعد اللساني، والنقدي الثقافي، والفلسفي. ويهدف الإطار النظري إلى صياغة شبكة مفهومية مترابطة قادرة على تفكيك النصوص المترجمة للقرآن الكريم إلى الفرنسية، ليس فقط على مستوى اللغة والدلالة، بل أيضًا على مستوى الكشف عن الخلفيات الإيديولوجية والثقافية التي تشكل حضور المترجم كفاعل نشيط. ويبنى هذا الإطار على أربع مرجعيات رئيسية تتكامل فيما بينها لتشكيل أداة تحليلية شاملة، مع التركيز على كيفية تفاعلها في سياق ترجمة نص ديني مركزي كالقرآن.

يشكل أندرو تشيسترمان (Chesterman, 1997) المنطلق الأساسي، حيث قدّم مفهوم "الميات الترجمة" (memes of translation) باعتبارها وحدات فكرية وثقافية تنتقل من مترجم إلى آخر عبر الزمن، موجّهة اختياراتهم وممارساتهم. هذه الميات قد تكون مرتبطة بالتصوّر النظري للنص المقدّس (مثل تصوّر القرآن كنص تاريخي أو وحياني)، أو معيارية تحدّد ما يُعتبر "سليمًا" أو "مقبولًا" في الترجمة، أو استراتيجية تتعلق بتقنيات النقل (مثل الإضافة أو التوسع)، أو قيمية تعبّر عن المواقف الأخلاقية والإيديولوجية (مثل نزع القداسة عن النص). يتيح هذا التصوّر قراءة الترجمات ليس كمنتجات لغوية معزولة، بل كحوامل لأفكار تنتشر وتُكرّس تصوّرات معينة عن النصوص الأصلية، خاصة في حالة نص ديني يحمل حمولة ثقافية وروحية كالقرآن العظيم.

تجد هذه الرؤية امتدادًا طبيعيًا لها في مقاربة لورانس فينوتي⁴، الذي طرح ثنائية "التدجين" (domestication) و"التغريب" (foreignization) كاستراتيجيتين أساسيتين تحدّدان مدى حضور "الآخر" في النص المترجم. فالتدجين يعني صبغ النص بطابع الثقافة المستقبلية حتى يبدو مألوفًا، مما يؤدي غالبًا إلى طمس خصوصية النص القرآني وإخفاء "غرابته" اللغوية والثقافية، كما في اختيار مصطلحات فرنسية ذات حمولة توراثية أو أدبية. أما

التغريب، فيحافظ على الاختلاف ويجعله ظاهرًا، وهو ما ينسجم مع دعوات بعض المترجمين المسلمين إلى الحفاظ على "النكهة القرآنية" في الفرنسية. يكمل فينوتي تشيستيرمان بشكل مثالي: فإذا كان الأول يفسر آليات انتقال الميات، فإن الثاني يتيح تصنيف هذه الميات ضمن ثنائية كبرى تتحكم في فعل الترجمة، مع التركيز على كيفية جعل المترجم "مرئيًا" (visible) من خلال اختياراته التي تكشف عن تحيزات الثقافية.

ويأتي أنطوان برمان⁵ ليضفي بعدًا أخلاقيًا وفلسفيًا على العملية، من خلال مفهوم "تجربة الغريب" (l'épreuve de l'étranger) الذي يُعتبر امتحانًا للترجمة: هل تحتفظ بالغيرية الأصلية أم تُخضعها لمنطقها الداخلي؟ يحدد برمان "مبولات تحريفية" التي تلحق بالنصوص الأجنبية، مثل عقلنة النص، أو إفقار المعنى، أو إلغاء الغرابة الأسلوبية. في سياق القرآن، تكتسب هذه النزعات أهمية خاصة، إذ تكشف كيف يُعاد تشكيل النص المقدس في ضوء أفق توراتي أو استشرافي أو لائكي، مما يطمس فرادته اللغوية والدلالية. إن برمان وفينوتي يتكاملان: فإذا كان الأخير يقدم ثنائية منهجية (تدجين/تغريب)، فإن برمان يبين التبعات الأخلاقية والتحريفية لخيارات التدجين مؤكدًا على البعد الأخلاقي لضرورة حفظ "الغريب" في النص المترجم.

أما جيرار جينيت⁶، فيوسع دائرة التحليل من المتن إلى ما يحيط به عبر مفهوم "العتبات" (seuils)، أو النصوص الموازية (paratextes) مثل المقدمات والهوامش والتعليقات. هذه العناصر ليست ثانوية، بل تشكل حواجز توجيهية تكشف عن إيدولوجية المترجم وتوجه عملية التلقي. في ترجمات القرآن، تُظهر مقدمات كازيميرسكي أو بلاشير مثلًا مواقف صريحة تجاه النص والرسول ﷺ والإسلام، كما في تعليقاتهم "التاريخية" أو النقدية التي تنزع القداسة عن النص. يكمل جينيت الإطار بتوسيع النطاق إلى الخطاب المحيطي، مما يتيح ربط الميات الترجمة (تشيستيرمان) بالتحريفات (برمان) في سياق تدجيني (فينوتي).

وانطلاقًا من هذا التأسيس النظري المتكامل، تتبنى الدراسة منهجًا تحليليًا نقديًا قائمًا على ثلاثة مستويات متداخلة: المستوى الجزئي (اللغوي-النصي) الذي يركز على المفردة والجملة وانزياحاتها الدلالية أو التداولية؛ والمستوى الوسطي (الثقافي-التفسيري) الذي يعالج الخطاب الموازي مثل الهوامش والتعليقات، وكيفية استدعاء نصوص توراتية أو تاريخية لتبرير الاختيارات؛ ثم المستوى الشمولي (الإيدولوجي-التاريخي) الذي يربط النصوص المترجمة بسياقاتها الكبرى، مثل الاستعمار أو النزعة اللائكية أو الاستشراق الكلاسيكي. يتيح هذا التدرج الكشف عن دينامية الترجمة كعملية ثقافية وإيدولوجية، مع التركيز على كيفية تشكل الصورة الترجمة للقرآن في الثقافة الغربية بشكل عام و الثقافة الفرنسية بشكل خاص، وعن التفاعل بين الاعتبارات اللغوية والأبعاد الفكرية الأوسع.

أولاً: تقديم المدونتين والمترجمين:

تعتمد هذه الدراسة على مدونتين أساسيتين من الترجمات الفرنسية للقرآن الكريم، وهما ترجمة ألبرت كازيميرسكي (1887-1808) و ترجمة ريجيس بلاشير (1900-1973)، وذلك لما تمثلانه من مرجعتين متميزتين في مقارنة النص القرآني، ولما تكشفانه من خلفيات فكرية وإيدولوجية متباينة.

1. ألبرت كازيميرسكي

كان كازيميرسكي مستشرقاً من أصل بولندي عمل في خدمة وزارة الخارجية الفرنسية، وعُرف بترجمته للقرآن المنشورة سنة 1840 تحت عنوان «Le Coran, traduit de l'arabe» وقدم هذه الترجمة في سياق تاريخي حساس يمثل في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهو ما يفسر الطابع الوظيفي والإيدولوجي الذي لازم عمله. في ترجمة كازيميرسكي، يشير بوتيه - (Pauthier) الذي قدم له - بوضوح إلى الهدف من هذا العمل، وهو فهم الإسلام والقرآن باعتبارهما مصدرًا للعقيدة والجهاد، قصد إحكام السيطرة الاستعمارية على المسلمين. وهذا يجعل من الترجمة أداة معرفية تخدم المشروع الكولونيالي بقدر ما تُقدم نصاً دينياً مترجماً⁷.

كما تتضمن هوامش كازيميرسكي العديد من التعليقات التي تُبرز نزعة استشراقية كلاسيكية، حيث يُقارن النص القرآني بالكتاب المقدس اليهودي-المسيحي، ويصف بعض المقاطع بـ"المفارقات التاريخية" أو "الاعتبارات غير الدقيقة" من التوراة، وبذلك، تصبح ترجمته نموذجاً واضحاً على توظيف المتن القرآني والعتبات النصية (الهوامش خاصة) في إطار إيدولوجي غربي يُبرز "جمل النبي العربي" ويُشرعن الهيمنة.

2. ريجيس بلاشير

أما ريجيس بلاشير، فقد أصدر ترجمته سنة 1949 بعنوان «Le Coran (al-Qor'ân)»، وهي ترجمة ذات طابع أكاديمي-جامعي، أنجزها وهو أستاذ للغة العربية وآدابها بجامعة السوربون. وقد جاءت ترجمته بعد قرن من عمل كازيميرسكي، في سياق مغاير يمثل في هيمنة الفكر الاستشراقي المؤسسي بعد الحرب العالمية الثانية، وبداية تحولات علاقة فرنسا بمستعمراتها الإسلامية.

تميّز بلاشير بمقاربة علمانية نقدية، حيث تعامل مع القرآن باعتباره وثيقة تاريخية تستوجب الدراسة الفيلولوجية والتحليل النصي أكثر من كونه كتاباً مقدساً.

كما تظهر هوامشه حرصاً على المقارنة بالنصوص التوراتية والتلمودية، مع اختيار مصطلحات فرنسية ذات حمولة أدبية أو تاريخية، بما يعكس نزوعاً إلى التدجين الأدبي في ترجمة المصطلح القرآني. وهذا ما يجعل ترجمته أوضح مثال على التحول من الاستشراق الكولونيالي المباشر (كازيميرسكي) إلى الاستشراق الأكاديمي المؤسسي (بلاشير). يتيح الجمع إذن بين هاتين الترجمتين الوقوف على مسارين أساسيين في تاريخ ترجمة القرآن إلى الفرنسية:

- مسار أول يوظف الترجمة كأداة في خدمة مشروع سياسي-استعماري (كازيميرسكي)

- ومسار ثانٍ يتعامل مع النص في إطار بحث علمي علماني ينزع إلى التاريخانية والفيلولوجيا (بلاشير) إن تقديم هاتين المدونتين لا يهدف فقط إلى وصفها تاريخياً، بل إلى تهيئة أرضية للتحليل المقارن وفق الإطار النظري الذي سبق عرضه، حيث سيتم تفكيك النصوص المترجمة والهوامش والتعليقات عبر مستويات ثلاثة (جزئي، وسطي، شمولي)، قصد الكشف عن الممارسات الترجمة والاختيارات الإيدولوجية التي رافقت عمل كل مترجم.

ثانياً: الجزء التحليلي: تحليل ترجمات مختارة للقرآن الكريم إلى الفرنسية

1. تحليل ترجمة الآية 61 من سورة البقرة في ترجمة كازيميرسكي

النص القرآني :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُؤُومِهَا وَعَدَسِهَا وَوَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَالَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾
(البقرة: 61).

الترجمة الفرنسية لكازيميرسكى :

« C'est alors que vous dites: Ô Moïse! nous ne pouvons supporter plus longtemps une seule et même nourriture; prie ton Seigneur qu'il fasse pousser pour nous de ces produits de la terre, des légumes, des concombres, des lentilles, de l'ail et des oignons. Moïse vous répondit: Voulez-vous échanger ce qui est bon contre ce qui est mauvais? Eh bien! rentrez en Égypte, vous y trouverez ce que vous demandez. Et l'avitaillement et la pauvreté s'étendirent sur eux, et ils s'attirèrent la colère de Dieu, parce qu'ils ne croyaient point à ses signes et mettaient injustement à mort leurs prophètes. Voilà quelle fut la rétribution de leur révolte et de leurs violences. »⁸

الحاشية: تُصَفّ الآية كـ«مفارقة تاريخية» وتتهم النبي ﷺ بالجهل⁹.

التحليل:

المستوى الجزئي: اعتماد/explicitation « التوضيح » في تعداد الأطعمة («légumes, concombres, lentilles...») « Voulez-vous échanger à l'inverse ? » («أَتَسْتَبَدِّلُونَ...؟») نقل ، كذلك ، وبشّوه إيقاعه . كذا ، يحمل النص ، ثنائية أخلاقية غريبة . « ce qui est bon contre ce qui est mauvais ».

المستوى الوسطي: تُشكل الحاشية "نصًا موازيًا" حسب جينيت، لكنها تُوجه القارئ نحو تفسير نقدي يُصوّر القرآن كوثيقة بشرية مليئة بالأخطاء. وصف المقطع بالمفارقة الزمنية «anachronisme» واتهام النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام، وحاشاه، بالجهل الشديد يُجسد تدجينًا وفق فينوتي، إذ يُدمج النص في إطار توراتي مألوف، وميلاً تحريفياً حسب برمان، إذ يُنكر العصمة الإلهية ويُفرغ النص من غرابته الثقافية.

المستوى الشمولي: هنا يبرز "ميم ترجي" وهو "التشكيك في الأصالة" حيث يُقدّم القرآن كإعادة صياغة جاهلة للتراث التوراتي. هذا الميم الترجي ينبع من سياق استشراقي تعود جذوره إلى الترجمات الأولى المناهضة للإسلام، حسب فينوتي، يُمثل هذا تدجينًا يُطمس استقلال النص، بينما يُعد، وفق برمان، فشلاً في مواجهة "تجربة الغريب".

الخلاصة: تظهر ترجمة كازيميرسكي لهذه الآية مع تعقيبه عليها حضور المترجم كفاعل إيديولوجي يُعيد تشكيل النص ضمن إطار استشراقي، مُفقداً إياه خصوصيته اللغوية عبر التوضيح والحواشي النقدية.

2. تحليل ترجمة الآية 72 من سورة البقرة في ترجمة كازيميرسكى

النص القرآني:

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة: 72).

الترجمة الفرنسية لكازيميرسكي :

« 67. Rappelez-vous ce meurtre qui a été commis sur un homme d'entre vous ; ce meurtre était l'objet de vos disputes. Dieu fit voir au grand jour ce que vous cachiez. »¹⁰

الحاشية: تربط الحاشية الآية بقصة توراتية من سفر العدد، مُدعية أن "مؤلف القرآن" أعاد صياغتها "بطريقته" استنادًا إلى مصادر غير دقيقة.

التحليل:

المستوى الجزئي: يُحوّل كازيميرسكي النص الموجز إلى سرد وصفي («ce meurtre qui a été commis...») مُستخدمًا استراتيجية "إعادة الصياغة" (paraphrase) "كما يصفها تشيستيرمان. هذا التحويل يُمثل "عقلنة" (rationalisation) "حسب برمان، تفقد النص إيجازه الإيقاعي وبعده الروحي. ترجمة ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ إلى «Dieu fit voir au grand jour» تُظهر تدجينًا (domestication) وفق فينوتي، إذ تُحوّل الفعل الإلهي إلى تعبير فرنسي مألوف.

المستوى الوسيط: الحاشية تحوّل النص إلى نسخة محرّفة من قصة توراتية، موجهة التلقي نحو أفق كتابي مألوف.

المستوى الشمولي: «ميم التشكيك في الأصالة» يتكرر هنا؛ فالقرآن يصوّر كناع للنص العبري. الخلاصة: تُبرز ترجمة كازيميرسكي حضور المترجم كفاعل إيديولوجي يُعيد تشكيل النص ضمن إطار توراتي، مُفقدًا إياه استقلاله عبر إعادة الصياغة والحواشي المتعجرفة.

3. تحليل ترجمة الآيتين 67 و69 من سورة البقرة في ترجمة بلاشير

النص القرآني :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَجِدْنَا حُرُوءًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة: 67).

﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبْنِ لَنَا مَا لَوْهَاءَ قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاتِرِينَ﴾ (البقرة: 69)

الترجمة الفرنسية لبلاشير :

« 63/67 Et [rappelez-vous] quand Moïse dit à son peuple : « Allah vous ordonne d'égorger une génisse. » — « Nous prends-tu en raillerie ? », lui demanda-t-on. « A Allah ne plaise que je sois parmi les Sans-Loi », répondit [Moïse]. »¹¹

« 64/69 [Le peuple] dit [encore] : « Prie pour nous ton Seigneur qu'Il nous précise la couleur [de cette génisse]. » — « [Le Seigneur] dit », répondit [Moïse] : « Ce doit être une génisse rousse, d'un roux franc, plaisante à regarder. » »¹²

الحاشية: تُشير الحاشية إلى اختيار «génisse» بدلاً من «vache» لأسباب أدبية/شعرية، وترتبط القصة بسفر العدد.(Nombres XIX)

التحليل:

المستوى الجزئي: استبدال «بقرة» بـ «génisse» يمثل/ennoblement «تفخيم» (Berman) «، إذ يُضفي بعداً شعرياً غريباً عن النص. ترجمة «صفراء فاقع» بـ «d'un roux franc, plaisante à regarder» تحول الوصف التشريعي إلى تصوير جمالي.

المستوى الوسيط: تربط الحاشية القصة بسفر العدد، مُقدمة النص القرآني كإعادة صياغة توراتية. هذا الربط يُجسد تدجيناً (domestication) وفق فينوتي، إذ يُدمج النص في إطار كتابي، و"عقلنة (rationalisation) " حسب برمان، إذ تُفرغ النص من غرابته الثقافية. الحاشية، كـ"نص مواز" حسب جينيت، تُوجه القارئ نحو قراءة توراتية.

المستوى الشمولي: يظهر «ميم المقارنة الكتابية»، الذي يحصر القرآن في دائرة التناص الكتابي اليهودي-المسيحي.

الخاتمة: يقدّم بلاشير النص كحاشية أدبية للتوراة، مفرغاً إياه من فرادته.

4. تحليل ترجمة الآية 228 من سورة البقرة في ترجمة بلاشير

النص القرآني :

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۚ وَاللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: 228)

الترجمة الفرنسية لبلاشير :

« 228 Les femmes sous le coup d'une répudiation attendront elles-mêmes trois flux menstruels [avant remariage] ; il ne leur sera point licite de céler ce qu'Allah a créé dans leur sein, si elles se trouvent croire en Allah et au Dernier Jour. Leurs époux ont plein droit de les reprendre, en ce temps, s'ils désirent établir la concorde ('qslaha). [Les épouses] ont pour elles [des droits] semblables à ce qui leur incombe [envers leurs époux], en ce qui est reconnu [convenable] ; les hommes ont cependant sur elles une prééminence. Allah est puissant et sage. »¹³

الحاشية: « Trois flux menstruels. Cette disposition se trouve aussi dans le Talmud. التحليل:

المستوى الجزئي: ترجمة «قروء» بـ «flux menstruels» تظهر/semantic narrowing «تضييقاً دلالياً»، محصورة في البيولوجي، وفقدان البعد التشريعي.

المستوى الوسطي: تربط الحاشية الحكم القرآني بالتلمود، مقدمة التشريع كمستمد من التراث اليهودي. هذا الربط يُجسد تدجيناً (domestication) وفق فينوتي، إذ يُدمج النص في إطار مألوف، و"عقلنة" (rationalisation) حسب برمان، إذ تُفرغ النص من غرابته الفقهية. الحاشية، كـ"نص مواز" حسب جينيت، تُوجه القارئ نحو قراءة يهودية.

المستوى الشمولي: يتجلى «ميم تقليص الأصالة»، حيث يُختزل التشريع القرآني في كونه مقتبساً من التقاليد اليهودية.

الخلاصة: تُبرز ترجمة بلاشير حضور المترجم كفاعل إيديولوجي يُعيد صياغة النص ضمن إطار يهودي، مُفقدًا إياه استقلاله التشريعي عبر التضييق الدلالي والحواشي المقارنة بينه وبين نصوص دينية أخرى.

5. تحليل ترجمة الآيتين 19-20 من سورة النجم في ترجمة بلاشير

النص القرآني :

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (النجم: 19)

﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: 20]

الترجمة الفرنسية لبلاشير :

« 19 Avez-vous considéré al-Lât et al- Ozzä

20 et Manât, cette troisième autre ?

20 bis Ce sont les Sublimes Déesses

20 ter et leur intercession est certes souhaitée. »¹⁴

ملخص الحاشية :

غائبة تمامًا (لا توجد إشارة توضح أن الآيتين 20 bis و 20 ter غير موجودتين في النص القرآني). التحليل:

المستوى الجزئي: إدراج الآيتين 20 bis و 20 ter يظهر إضافة مستمدة من روايات كل علماء الإسلام متفقون على بطلانها (الآيات الشيطانية أو ما يسمى بالغرائيق). هذا الإحجام يُمثل "هدمًا لحرفية النص (destruction de la lettre) حسب برمان، إذ يُشوّه المعنى القرآني (محاربة الشرك) بإضافة عناصر تُوجي بتأييده. حسب فينوتي، يُجسد هذا تدجيناً يُقرب النص من روايات استشرافية تُطعن في العصمة النبوية.

المستوى الوسطي: غياب الحاشية يُمثل "صمتًا بارانصي"، حسب جينيت، يوهم القارئ بأصالة هذه الإضافات. هذا يُجسد تدجيناً وفق فينوتي، إذ يُدمج النص في سياق استشرافي شاذ، وفشلًا في مواجهة "تجربة الغريب" حسب برمان، إذ تُفرغ النص من غرابته الثقافية ومحاولة إحام ما ليس فيه عنوة.

المستوى الشمولي: يظهر «ميم الطعن في عصمة الوحي»، حيث يُصوّر القرآن كقص قابل للتحريف. الخلاصة: بلاشير يضيف عناصر دخيلة دون إشارة نقدية، فيرسخ صورة استشرافية مشوهة عن الوحي.

ثالثا: أهم الميات الترجمة الواردة في ترجمتي كازيميرسكي وبلاشير للقرآن الكريم:

إنَّ تتبعا لترجمتي كازيميرسكي (1840) وبلاشير (1947) للقرآن الكريم يُبرز أن هاتين المخطتين، رغم الفاصل الزمني بينهما، تُعيدان إنتاج نفس الأنماط الترجمة والإيديولوجية التي تأسست منذ العصور الوسطى مع ترجمة كلوني (Cluny). فبدل أن يكون النص القرآني منقولاً في خصوصيته اللغوية والبلاغية، وجدنا أنه أُعيد تشكيله في ضوء مقولات ثقافية ولاهوتية غربية، ما يجعل الترجمة هنا ليست مجرد نقل لغوي، بل ممارسة معرفية وإيديولوجية بامتياز. لقد كشف التحليل على المستويات الثلاثة - الجزئي (اللغوي-النصي)، الوسطي (الثقافي-التفسيري)، والشمولي (الإيديولوجي-التاريخي) - عن مجموعة من الميات الترجمة (translation memes) التي تسربت إلى أعمال كازيميرسكي وبلاشير، أهمها:

1. ميم التشكيك في الأصالة:

يتكرر عند المترجمين من خلال الهوامش والتعليقات التي تصف بعض القصص القرآني بأنها "مفارقات تاريخية" أو إعادة صياغة نافصة للتوراة. هذا النمط يكشف عن رؤية استشراقية تنفي الاستقلالية النصية للقرآن، وتحوله إلى نص تابع.

2. ميم المقارنة الكتابية: حيث يُعاد تفسير القصص القرآني (قصة البقرة، أو أحكام المطلقات) عبر إسقاط مباشر على نصوص التوراة أو التلمود. هنا تتحول الترجمة إلى جسر لإدماج القرآن في "مركزية كتابية-Bible" (centered view) تفقده فرادته الوحيانية.

3. ميم تقليص الأصالة:

إذ تُربط الأحكام القرآنية (كالعدة في سورة البقرة) بتقاليد فقهية يهودية، ما يُفرض النص من بعده التشريعي الخاص ويقدمه كنسخة ثانوية.

4. ميم الطعن في عصمة الوحي:

يظهر في حالة بلاشير عند إدراج "الآيات الشيطانية" (versets sataniques) في سورة النجم دون تعليق أو تنبيه، ما يُقدم النص كقابل للتحريف. هذا النمط يندرج في خطاب استشراقي قديم هدفه الطعن في صدقية الوحي ومكانة الرسول ﷺ.

هذه الميات، وفق تصنيف تشيستيرمان، تتوزع بين الميات الاستراتيجية (كالتوضيح، إعادة الصياغة، التسخيم)، والميات القيمة (التي تُظهر الموقف الأيديولوجي)، والميات المعيارية (التي تُحدد المقبول في الترجمة وفق المرجعية الغربية). أما برمان، فيكشف من خلال "المبولات التحريفية" (tendances déformantes) "كيف أدت هذه الاستراتيجيات إلى: عقلنة النص (rationalisation)، إفقار المعنى (appauvrissement)، إلغاء الغرابة الأسلوبية (destruction de l'étrangeté)، والتوسيع المفرط (expansion). كلها نزعات أضعفت البنية القرآنية المتميزة.

كما يظهر من خلال فينوتي أن المترجمين مارسوا باستمرار التدجين (domestication)، حيث تم إذابة "غربة" النص القرآني في قوالب توراتية أو أدبية فرنسية مألوفة، بينما غاب خيار التغريب (foreignization) الذي يحافظ على فرادة النص ويجعل اختلافه مرئياً للقارئ. بل إن هذا التدجين تعزز عبر "العتبات" (paratextes) عند

جينية، سواء في الحواشي أو في المقدمات، حيث يُعبّر المترجم عن مواقفه صراحة ويؤجّه عملية التلقي وفق منظور استشرافي أو لائكي.

خاتمة:

توصلنا من خلال هذه الورقة البحثية إلى أنّ الترجمة ليست مجرد وسيط لغوي، بل فعل ثقافي وإيدولوجي يعيد إنتاج النص وفق تصورات المترجم وسياقه التاريخي، وأنّ حضور المترجمين (visibility of translators) في هذه الترجمات كان طاعياً، إذ لم يكتفوا بالنقل، بل علّقوا وأضافوا ووجهوا القارئ الغربي، ما جعل الترجمة جزءاً من مشروع ثقافي أكبر (الاستشرق/الاستعمار).

كما تكشف دراسة المبمات الترجمة أن هناك استمرارية تاريخية؛ من مشروع كلوني إلى ماراتشي، فسائل، فسافاري، وصولاً إلى كازيميرسكي وبلاشير. إنها سلسلة متواصلة من "الممارسات الترجمة" التي انتقلت عبر القرون، ورسمت صورة للقرآن كوثيقة بشرية تابعة للتوراة والإنجيل.

أدت هذه الترجمات عملياً إلى طمس الخصوصية القرآنية اللغوية والرسالية، إذ أُعيد إنتاج النص في صورة تاريخية/جدلية/أدبية، وفُقدت بذلك أبعاده الإعجازية والتعبدية والكونية.

كما أنّ قراءة هذه الترجمات في ضوء أعمال تشسترمان و فينوتي وبرمان وجينات أتاح لنا:

- كشف أنماط متوارثة تشكل "مبمات ترجمة" تنتقل جيلاً بعد جيل.
 - إبراز كيف يتقاطع اللساني بالنصي مع الثقافي والإيدولوجي.
 - تقديم نموذج منهجي يمكن تعميمه على دراسة ترجمات قرآنية أخرى، سواء إلى الفرنسية أو إلى لغات أوروبية أخرى.
 - إعادة التفكير في كيفية التعامل مع النصوص المقدسة في الترجمة، بما يحفظ خصوصيتها وإراعي فرادتها.
- ويمكن القول في الختام إن هذا البحث قدّم مقارنة تكشف الترجمات القرآنية في ضوء المبمات الترجمة (تشسترمان)، التدجين/التغريب (فينوتي)، الميولات التحريفية (برمان)، والعتبات النصية (جينية)، بما أتاح قراءة متعددة المستويات تدمج اللساني بالثقافي والإيدولوجي. هذه القراءة لا تلغي القيمة العلمية لهذه الترجمات، لكنها تُبرز حدودها وتكشف عن أطرها الإيدولوجية، وهو ما يفتح المجال لبحوث مستقبلية تقارن هذه الترجمات بترجمات إسلامية معاصرة، أو تدرس حضور المبمات الترجمة في لغات أوروبية أخرى.

هوامش:

¹ James Kritzeck, 1964, Peter the Venerable and Islam, Princeton, New Jersey, Princeton University Press, p.132

² Andrew Chesterman, 2016, Memes of Translation, The Spread of Ideas in Translation Theory, Revised edition, Philadelphia, John Benjamins Publishing Company, p.1

³ Norman Daniel, 1980, Islam and the West: the Making of an Image, Edinburgh, Edinburgh University Press, p.142

⁴ Lawrence Venuti, 1995, Translator's Invisibility: A History of Translation, London, Routledge.

⁵ أنطوان برمان، 2010، الترجمة والحرف أو مقام البعد، ترجمة وتقديم: عز الدين الخطابي، لبنان، المنظمة العربية للترجمة.

⁶ Gerard Genette, 1987, Seuils, Editions du Seuil.

⁷ Albert Kazimirski, 1840, Le Koran, Traduction Faite sur le Texte Arabe, Paris, Charpentier, p.29

⁸ Ibid., p.73

⁹ Ibid., pp.73-74

¹⁰ Ibid., p.76

¹¹ Régis Blachère, 1966, Le Coran (Al Qor'ân), Paris, Maisonneuve et Larose, p. 37

¹² Ibid.

¹³ Ibid., p. 63

¹⁴ Ibid., p. 561

قائمة المراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم
- أنطوان برمان، 2010، الترجمة والحرف أو مقام البعد، ترجمة وتقديم: عز الدين الخطابي، لبنان، المنظمة العربية للترجمة.
- Albert Kazimirski, 1840, Le Koran, Traduction Faite sur le Texte Arabe, Paris, Charpentier.
- Andrew Chesterman, 2016, Memes of Translation, The Spread of Ideas in Translation Theory, Revised edition, Philadelphia, John Benjamins Publishing Company.
- Gerard Genette, 1987, Seuils, Editions du Seuil.

- James Kritzeck, 1964, Peter the Venerable and Islam, Princeton, New Jersey, Princeton University Press.
- Lawrence Venuti, 1995, Translator's Invisibility: A History of Translation, London, Routledge.
- Norman Daniel, 1980, Islam and the West: the Making of an Image, Edinburgh, Edinburgh University Press.
- Régis Blachère, 1966, Le Coran (Al Qor'ân), Paris, Maisonneuve et Larose.